إلى الدين الخالص

للشيخ الطيب العقبي

بعناية الشيخ أبي عبد الرحمن محمود

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد، فإليك أخي القارئ هذه القصيدة العصمأ من الشعر الفائق والنظم الرائق في بيان الاعتقاد النقي والدين الخالص والمنهج السوي الذي ينبغي لكلّ مسلمٍ أَبِيٍّ أن يكون عليه ، دبّجها ببراعة «سيفُ السنّة وعَلَمُ الموحّدين»(1) و«داعيةُ الإصلاح وخطيب المصلحين»(2) العلاّمةُ الشيخُ الطيّب العقبي- رحمه اللّه تعالى وطيّب ثراه وجعل الجنّة مثواه- ونُشِرت سنة 1925م في العدد الثامن(3) من صحيفة «المنتقد» أوّل صحيفة دعت إلى تحرير الأمّة الجزائرية من ضغط ديوان الصالحين وترهات الصوفيين، «فكانت تلك القصيدة أوّل مِعْوَل مؤثّر في هيكل المقدّسات الطرقية، ولا يعلم ما تحمله هذه القصيدة من الجرأة، ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية، إلاّ مَن عرف العصر الذي نُشرت فيه، وحالته في الجمود والتقديس لكلّ خُرافة في الوجود» (4).

وقد قدّمت «المنتقد» للقصيدة ببضعة أسطر ذات معان ودَلالات لِكُلِّ ذي حِجْر، هذا نصّها:

«تحت هذا العنوان جاءتنا هذه المنظومة الإصلاحية للعلاّمة المرشد صاحب التوقيع، فحلّينا بها صدر هذا العدد تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون ؛ و«المنتقد» يتحدّى بها كلّ ذي علم تحدّثه نفسه بمعارضتها(5) إلى معارضتنا بصحيح الأدلّة من الكتاب والسنّة وكلام سلف الأمّة.

ويتكفّل بنشرما يَرِدُ عليه من جميع المعارضين، ومن لم يفعل منهم وبقي يلغو في المجالس والحوانيت، فإنّه يكون من الجبنأ الكاذبين المفسدين».

وها نحن نعيد نشرها من جديد- بعد مضي سبعة عقود بل أكثر- في هذا العدد الحافل من «منابر الهدى»، ليزداد الذين اهتدوا هدًى، وينفضح أهل الضلال والهوى، ﴿لِيَحْيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

اللهمّ اهدنا لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنّك تهدي من تشأ إلى صراط مستقيم.

أَيُّهَا الأَقْوَامُ إِنْ تَبْغُوا الهُدَى مَا لَكُمْ وَاللّهِ غَيْرُ العِلْمِ هَادْ

حالة موجبة للاستعبار وعظة موجبة للاعتبار:

1. مَاتَتِ السُّنَّةُ فِي هَذِي البِلاَدْ *** قُبِرَ العِلْمُ وَساءَ الجَهْلُ سَادْ
2. وَفَشَا دَاءُ اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ *** سُهُولِ القُطْرِطُرًّا وَالنِّجَادْ(6)
3. عَبَدَ الكُلُّ هَوَاْ شَيْخِهِ *** جده ضَلُّوا وَضَلَّ الاعْتِقَادْ
4. حَكَّمُوا عَادَاتِهِم فِي دِينِهِمْ *** شَرْعِ اللَّهِ إِذْ عَمَّ الفَسَادْ
5. لَسْتُ مِنْهُمْ لاَ وَلاَ مِنيّ هُمُ *** وَيْلَهُمْ يَا وَيْلَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادْ
6. يَوْمَ يَأْتِي الخَلْقُ فِي الحَشْرِ وَقَدْ *** نُشِرُوا نَشْرَ فَرَاشٍ وَجَرَادْ
7. يَوْمَ لاَ تَنْفَعُهُمْ مَعْذِرَةٌ *** وَلَظَى مَأْوَاهُمُ بِئْسَ الْمِهَادْ
8. يُصْهَرُ السَّاكِنُ فِي أَطْبَاقِهَا *** أُحْرِقَ مِنْهُ الجِلْدُ عَادْ
9. وَكَّلَ اللَّهُ بِمَنْ حَلَّ بِهَا *** جَمْعَ أَمْلاَكٍ غِلاَظٍ وَشِدَادْ
10. أَكْلُهُمْ فِيهَا ضَرِيعٌ شُرْبُهُمْ *** مِنْ حَمِيمٍ لُبْسُهُمْ فِيهَا سَوَادْ
11. كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِهِمُ *** طَالَ حُزْنِي وَتَغَشَّانِي السُّهَادْ(7)

نصيحة غالية:

12. أَيُّهَا الأَقْوَامُ إِنْ تَبْغُوا الهُدَى *** لَكُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ العِلْمِ هَادْ
13. إِنَّنِي أَنْصَحُكُمْ نُصْحَ امْرِئٍ *** مَا لَهُ غَيْرُ التُّقَى وَالخَوْفِ زَادْ
14. كُلَّمَا يَنْقُصُ يَوْمًا عُمْرُهُ خَوْفُهُ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَشْرِ زَادْ
15. مَا زَرَعْتُمْ فِي غَدٍ تَلْقَوْنَهُ *** لَيْسَ يُجْدِي نَدَمٌ يَوْمَ الحَصَادْ

اعتقاد نقي واتصاف به:

16. أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُعَتَقَدِي *** يَبْتَغِي مِنِّي مَا يَحْوِي الفُؤَادْ
17. إِنَّنِي لَسْتُ بِبِدْعِيٍّ وَلاَ *** خَارِجِيٍّ دَأْبُهُ طُولُ العِنَادْ
18. يُحْدِثُ البِدْعَةَ فِي أَقْوَامِهِ *** فَتَعُمُّ الأَرْضَ نَجْدًا وَوَهَادْ(8)
19. لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ مِنْ ذِي بِدْعَةٍ *** عَمَلاً إِلاَّ إِذَا تَابَ وَهَادْ
20. لَسْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي فِي دِينِهِ *** مَا يَقُولُ النَّاسُ زَيْدٌ أَوْ زِيَادْ
21. بَلْ أَنَا مُتَّبِعٌ نَهْجَ الأُلَى *** صَدَعُوا بِالحَقِّ فِي طُرْقِ الرَّشَادْ
22. حُجَّتِي القُرْآنُ فِيمَا قُلْتُهُ *** لَيْسَ لِي إِلاَّ عَلَى ذَاكَ اسْتِنَادْ
23. وَكَذَا مَا سَنَّهُ خَيْرُ الوَرَى *** عُدَّتِي وَهْوَ سِلاَحِي وَالعَتَادْ
24. بِذَا أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَلِي *** أَجْرُ مَشْكُورٍ عَلَى ذَاكَ الجِهَادْ
25. مِنْكُمْ لاَ أَسْأَلُ الأَجْرَ وَلاَ *** أَبْتَغِي شُكْرَكُمْ بَلْهَ الوِدَادْ
26. مَذْهَبِي شَرْعُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى *** وَاعْتِقَادِي سَلَفِيٌّ ذُوسَدَادْ
27. خُطَّتِي عِلْمٌ وَفِكْرٌ نَظَرٌ *** فِي شُؤُونِ الكَوْنِ بَحْثًا وَاجْتِهَادْ
28. وَطَرِيقُ الحَقِّ عِنْدِي وَاحِدٌ *** مَشْرَبِي مَشْرَبُ قُرْبٍ لاَ ابْتِعَادْ

اعتقاد شركي وبرأة منه:

29. لاَ أَرَى الأَشْيَاخَ فِي قَبْضَتِهِمْ *** كُلُّ شَيْءٍ بَلْ هُمْ مِثْلُ العِبَادْ

30. وَعَلَى مَنْ يَدَّعِي غَيْرَ الَّذِي *** قُلْتُهُ إِثْبَاتُ دَعْوَى الاتِّحَادْ
31. قَالَ قَوْمٌ سَلِّمِ الأَمْرَ لَهُمُ *** تَكُنِ السَّابِقَ فِي يَوْمِ الطِّرَادْ
32. تَنَلِ الْمَقْصُودَ تَحْظَى بِالْمُنَى *** وَتَرَى خَيْلَكَ فِي الخَيْلِ الجِيَادْ
33. قُلْتُ إِنِّي مُسْلِمٌ يَا وَيْحَكُمْ *** لَيْسَ لِي إِلاَّ إِلَى الشَّرْعِ انْقِيَادْ
34. قَوْلُكُمْ هَذَا هُرَاءٌ أَصْلُهُ *** مَا رَوَتْ هِنْدٌ وَمَا قَالَتْ سُعَادْ
35. أَنَا لاَ أُسَلِّمُ نَفْسِي لَهَمُ *** لاَ وَلاَ أَلْقِي إِلَيْهِمْ بِالقِيَادْ
36. لَسْتُ أَدْعُوهُمْ كَمَا قُلْتُمْ وَقَدْ *** عَجَزُوا عَنْ طَرْدِ بَقٍّ أَوْ قَرَادْ
37. لَسْتُ مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَصْنَامِهِمْ *** عَكَفُوا يَدْعُونَهَا فِي كُلِّ نَادْ
38. كُلَّمَا أَنْشَدَ شَادٍ فِيهِمُ *** قَوْلَ شِرْكٍ ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَادْ
39. كَمْ بَنَوْا قَبْرًا وَشَادُوا هَيْكَلاً *** وَصُرُوحُ الغَيِّ بِالجَهْلِ تُشَادْ
40. غَرَّهُمْ مَنْ دَاهَنُوا فِي دِينِهِمْ *** وَارْتَضَوْا فِي سَيْرِهِمْ ذَرَّ الرَّمَادْ

سوء أثر الطرقية في المجتمع:

41. إِنَّنِي أَلْعَنُهُمْ مِمَّا بَدَا *** حَاضِرٌ فِي إِفْكِهِ مِنْهُمْ وَبَادْ
42. وَأَنَا خَصْمٌ لَهُمْ أُنْكِرُهُمْ *** كَيْفَمَا كَانُوا جَمِيعًا أَوْ فِرَادْ
43. عَلَّمُونَا طُرُقَ العَجْزِ وَمَا *** مِنْهُمُ مَنْ لِسِوَى الشَّرِّ أَفَادْ
44. طَالَمَا جَدَّ الوَرَى فِي سَيْرِهِمْ *** وَهُمُ كَمْ صَدَّهُمْ طُولُ الرُّقَادْ

السيادة النافعة:

45. إنَّ سَادَاتِ الوَرَى قَادَتُهُمْ *** بِعُلُومٍ مَا حَدَا بِالرَّكْبِ حَادْ

46. وَهُمُ رِدْئِي(9)وَعَونْي نُصْرَتِي *** وَوِقَائِي مَا اعْتَدَتْ تِلْكَ العَوَادْ

47. تِلْكُمُ السَّادَةُ مَا صَدَّهُمُ *** عَنْ هُدَى دِينِهِمُ فِي الحَقِّ صَادْ

ضروب من البدع:

48. لَسْتُ أَدْعُو غَيْرَ رَبِّي أَحَدًا *** وَهْوَ سُؤْلِي وَمَلاَذِي وَالعِمَادْ

49. وَلَهُ الحَمْدُ فَقَدْ صَيَّرَنَا *** بِالهُدَى فَوْقَ نِزَارٍ وَإِيَادْ(10)

50. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ *** مَا عَنَانِي مِنْكُمْ ذَاكَ العِنَادْ

51. لَسْتُ مُنْقَادًا إِلَى طَاغُوتِكُمْ *** بِظَبْي البَيْضِ وَلاَ السُّمْرِ الصِّعَادْ

52. لَمْ أَطُفْ قَطُّ بِقَبْرٍ لاَ وَلاَ *** أَرْتَجِي مَا كَانَ مِنْ نَوْعِ الجَمَادْ

53. لَسْتُ أَكْسُو بِحَرِيرٍجَدَثًا(11) *** نُخِرَتْ أَعْظُمُهُ مِنْ عَهْدِ عَادْ

54. لاَ أَشُدُّ الرَّحْلَ أَبْغِي حَجَّهُ *** قُرْبَةً تَنْفَعُنِي يَوْمَ التَّنَادْ

55. حَالِفًا كُلَّ يَمِينٍ أَنَّهُ *** سَوْفَ يَقْضِي حَاجَتِي ذَاكَ الجَوَادْ

56. لاَ أَسُوقُ الهَدْيَ قُرْبَانًا لَهُ زَرْدَةً(12) يَدْعُونَهَا أَهْلُ البِلاَدْ

الزيارة السنيّة:

57. وَفِـرَارِي كُلَّمَا أَفْظَعَنِي *** حَـادِثٌ يُلْبِسُنِي ثَوْبَ الحِـدَادْ

58. لِلَّذِي أَطْلُبُ الرِّزْقَ دَائِمًا *** مِنْهُ إِذْ لَيْسَ لِمَا يُعْطِي نَفَادْ

59. دَاعِيًا رَبِّي لَـهُمْ مُسْتَغْفِـرًا *** رَاجِيًا لِلكُـلِّ فِي الخَيْرِ ازْدِيَادْ

60. وَإِذَا زُرْتُ أَزُرْ مُـعْـتَـبِـرًا *** بِقُبُورٍ مَـاتَ مَنْ فِيهَا وَبَادْ

61. وَالَّذِي مَـاتَ هُوَ الْمُحْتَـاجُ لِي *** هَـكَـذَا أَقْضِي وَلاَ أَخْشَى انْتِقَادْ

الدعأ الشرعي والشركي:

62. لاَ أُنَـادِي صَاحِبَ القَبْرِ أَغِثْ *** أَنْتَ قُطْبٌ(13) أَنْتَ غَـوْثٌ وَسِنَـادْ

63. قَـائِمًا أَوْ قَـاعِدًا أَدْعُـو بِـهِ *** إِنَّ ذَا عِنْدِي شِـرْكٌ وَارْتِـدَادْ

64. لاَ أُنَـادِيهِ وَلاَ أَدْعُـو سِـوَى *** خَـالِقِ الخَلْقِ رَؤُوفٍ بِـالعِبَـادْ

65. مَنْ لَـهُ أَسْمَـاؤُهُ الحُسْنىَ وَهَـلْ *** أَحَـدٌ يَـدْفَعُ مَـا اللَّهُ أَرَادْ

66. مُخْلِصًا دِينِي لَـهُ مُمْتَثِلاً *** أَمْرَهُ لاَ أَمْـرَ مَنْ زَاغَ وَحَـادْ

الاتكال على الكبير المتعال:

67. حَـسْبِيَ اللَّهُ وَحَـسْبِي قُـرْبُهُ *** عِلْمُـهُ رَحْمَتُهُ فَهُـوَ الْمُـرَادْ

****

الهوامش:

(1) بهذا وصفه الإمام عبد الحميد بن باديس، انظر: «ابن باديس: حياته وآثاره» (3/463) للطالبي.

(2) بهذا وصفه العلاّمة مبارك الميلي، انظر: «رسالة الشرك ومظاهره» (ص447) بتحقيقي.

(3) صدر يوم الخميس 30 محرّم 1344هـ الموافق لـ 20 أوت 1925م.

(4) «رسالة الشرك ومظاهره» (ص447) لمبارك الميلي بتحقيقي.

(5) حاول بعض حماة الشرك ودعاته من الطرقيين (من أهل وادي سوف) معارضتها بقصيدة عنوانها (إرشاد الضالّين إلى سبيل أهل الحقّ المبين) ضمنها (64 بيتًا) وقفتُ عليها مخطوطة يقرّرُ في مطلعها عقيدة شركية مخالفةً لعقيدة التوحيد الخالصة وهي أنّ الأوليأ الصالحين يتصرّفون في البلاد ! ويملكون النفع والضرّ لغيرهم !!

يا رجال الدين يا أهل الرشاد * يا ذوي التحقيق أهل الاعتقاد**

ياذوي التمكين يا أهل النهى * يا ذوي التصريف في كلّ البلاد**

بلغتنا في حماكم سَبَّةً * حالها زعزع ركن كلّ ناد**

(6) طُرًّا: أي جميعًا. والنِّجاد: جمع نَجْد وهو ما ارتفع من الأرض.

(7) أي: الأرق.

(8) المكان المطمئن.

(9) الرِّدْء: العون، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص:34].

(10) يعني إياد بن نِزار بن معد بن عدنان.

(11) أي قبرًا، وجمعه أجداث كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:43].

(12) هي في العرف: طعام يتّخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم، ولها وقتان: أحدها في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث، والآخرة في فصل الربيع عند رجأ الغلّة، والغرض منها التقرّب من ذلك الصالح كي يغيثهم بالأمطار تسهيلاً للحرث أو حفظًا للغلّة !! فهي من الشرك، لا يحلّ أكلها لأنّها ممّا ذبح على النصب وأُهِلَّ به لغير اللَّه.

انظر رسالة الشرك ومظاهره (ص379-391) للميلي بتحقيقي، وآثار محمد البشير الإبراهيمي (3/319-322).

(13) ومعناه رأس العارفين، يزعم المتصوّفة أنّه لا يساويه أحد في مقامه حتى يموت فيخلفه آخر، وهي عند بعض الطرق كالتيجانية الخليفة عن اللَّه في تصريف جميع الوجود جملة وتفصيلاً كما في «جواهر المعاني» (2/90)، وهذا ـ كما لا يخفى على كلّ ذي عقلٍ ولبٍّ ـ من عقائدهم المنحرفة وخرافاتهم الباطلة التي تغني حكايتها عن ردّها.